

الصحة في ظل النمو الحضري في المجتمع الجزائري
Health in light of urban growth in Algerian society

مدان نعيمة

جامعة مولود معمري تيزي وزو،

(الجزائر)

Ania.meddane@yahoo.com

تاريخ النشر: 2022/05/13

تاريخ الاستلام: 2022/01/22 القبول: 2022/04/14

ملخص: إن فهمنا للصحة والمرض لن يكتمل إلا بعد إدراجهما في السياق الاجتماعي، والذي يعد الإطار الأشمل الذي تندرج ضمنه الصحة والمرض فيضفي عليهما طبقة اجتماعية، فإذا كان مهام الطبيب مثلا هي فهم كيفية وقوع المرض ومعالجته وتعزيز الظروف المعيشية التي تقلل من خطرها، فمهام الباحث الاجتماعي تظهر في الغوص في معرفة الظروف المحيطة بالفرد لاسيما منها البيئية والاجتماعية خاصة مع النمو الحضري السريع الذي يشهده العالم بأسره والمجتمع الجزائري على الوجه الخصوص، وعليه نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى وصف مستوى الصحة مع النمو الحضري السريع وإبراز أهم أسباب تراجعها وتدنيها في خضم كل التطورات والتغيرات الاجتماعية والبيئية التي صاحبت عملية التحضر السريع بمجتمعنا.

الكلمات المفتاحية: صحة، مرض، نمو حضري، تحضر، مجتمع جزائري.

Abstract :

Our understanding of health and disease will not be complete until after they are included in the social context, which is the most comprehensive framework within which health and disease fall and gives them a social class. In diving into the knowledge of the circumstances surrounding the individual, especially environmental and social ones, especially with the rapid urban growth witnessed by the whole world and the Algerian society in particular, and accordingly we aim through this research paper to describe the level of health with rapid urban growth and to highlight the most important reasons for its decline and decline in the midst of all developments And the social and environmental changes that accompanied the rapid urbanization process in our society.

KeyWords: health, disease, urban growth , urbanization, Algerian society.

المقدمة: يعتبر النمو الحضري تحصيل حاصل للصناعة التي تركزت في المدن وكانت محل جذب واستقطاب للكثير من الريفيين الراغبين في تحسين مستوى معيشتهم في كل المجالات ، وهذا ما أدى إلى نمو وتطور المدن وتعقد الحياة الحضرية الحديثة ، وأبرز العديد من المشكلات الاجتماعية التي تعرضت لها المدن وتناثر بها في عصرنا الحاضر، ومن بين هذه المشكلات الأمراض المختلفة التي تصيب الأفراد بما فيها الوبائية ، وشديدة الفتك كأمراض الجهاز التنفسي والقلب والكلى والأمراض السرطانية ، وحتى الأمراض الاجتماعية كالإدمان على المخدرات والكحول ، السرقة ، الانحراف..... الخ.

وقد تمخض كل ذلك عن أنشطة الإنسان وسعيه الدائم والمستمر إلى الكسب المادي بغض النظر عن الآثار الجانبية ، وهو ما دفعه إلى استثمار معظم ما حوله بصورة تنجم أحيانا عن أنانية مطلقة يعكسها مستوى الإسراف الشديد في استغلال موارد البيئة الطبيعية دون أن يوضع في الاعتبار حاجة الأجيال القادمة منها .

و ترتب على ذلك انتشار ظاهرة التلوث التي طالت أهم ضرورات الحياة ، الهواء ، الماء ، والتربة ، وساهمت في ظهور العديد من الملوثات المؤثرة على الصحة العامة والمسببة للأمراض الفتاكة وأصبحت صحة الإنسان ولاسيما المتمدن مهددة بتعرضه للأمراض المؤدية إلى الفناء في مجتمعات عديدة عبر العالم ، فكان الإنسان الذي ابتكر الحضارة هو نفسه الذي زرع بذور الفناء.

هذا ما يدفعنا لدراسة هذه الظاهرة ووصفها بعناية وشرح مدى تأثير النمو الحضري والمشاكل الناجمة عنه على تدهور صحة الإنسان لا سيما في الوسط الحضري.

I. الإطار المفاهيمي للدراسة:

1. مفهوم الصحة :

لقد عرفت الصحة منذ القدم واختلفت دلالتها طبقا لدرجة رقي العلوم الطبيعية والاجتماعية، فالإنسان الأول عرف المرض ، وكان يعالجه بالطقوس السحرية والشعوذة والصلاة ، وكان الاعتقاد السائد بأن

المرض ما هو إلا نتيجة قوى خارقة فوق البشر ثم بدأ الإنسان يعالج نفسه عن طريق الأعشاب التي تعتبر طبية ، ولا تزال هذه الطريقة سائدة إلى يومنا هذا في الكثير من المجتمعات فنجد عند "اليونان اهتمام الدولة بالصحة البدنية وقوة العضلات حتى أنهم اتخذوا للصحة آلهة يعبدونها" (عمر السيد، بدون تاريخ، ص389).

أما لدى الرومان فقد اقتصر مفهوم الصحة في البيئة النظيفة ولهذا سميت الصحة في ذلك العهد، بصحة البيئة التي تشمل نظافة المسكن، ومكان العمل و نظافة الأغذية وتنقية المياه... الخ وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأ كشف المكروبات التي تسبب الأمراض المعدية، وعرفت الصحة في تلك الفترة الطب الوقائي ، أما حديثا فقد كثر استعمال لفظ الصحة للدلالة على جميع الخدمات الصحية التي تقدمها الحكومة لسلامة الشعب ورفاهيته وعلى هذا الأساس فالصحة تشمل :

- كشف الأمراض المعدية وعلاجها ومكافحتها باستعمال اللقاحات ، وكذلك التطهير والتعقيم.
- رفع مستوى الصحة الشخصية عن طريق توفير الأغذية المتكاملة و الرياضة، والتنسيق الصحي.

وتعرف الصحة عند البشر بمدى التواصل البدني والوجداني والعقلي للشخص وبقدرته الاجتماعية في مواجهة بيئته ومثلما تعرف الصحة السيئة بوجود المرض من الجائز أن تعرف الصحة الجيدة بغيابه" (مخلوف، 1991، ص 47).

كما جاء في تعريف بركنز للصحة أنها "حالة من التوازن النسبي لوظائف الجسم ، وأنها تنتج عن تكيف الجسم مع العوامل الضارة التي يتعرض لها للمحافظة على توازنه" (المكاوي، 1990، ص 33).

و أما اجتماعيا وطبيا فالصحة ليست مجرد خلو الجسم من الأمراض والعاهات بل هي حالة تكامل قوى الجسم البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية ، حيث تكون أجهزة الجسم تعمل منفردة ومجتمعة في توفيق و انسجام ، وهذا المفهوم يتكامل تماما مع تعريف منظمة الصحة العالمية الذي يرى أنها حالة تكامل الجسم والعقل والتوازن الاجتماعي ، وليست مجرد خلو الجسم من المرض والعاهة" (سلامة، 2003، ص 99).

2. أهمية الصحة في المجتمع :

تمثل الصحة المرأة العاكسة بقراءة الوقائع الصحية لمجتمع معين ، فكلما كان الاهتمام بالجانب الصحي من خلال مكافحة الأمراض ومعرفة أسبابها الخفية منها والظاهرة (من أجل الوقاية منها) وكذا طرق انتشارها كلما أدى ذلك إلى أداء الأفراد لوظائفهم الاجتماعية الموكلة لهم على أكمل وجه، والعكس كلما أهملنا الجانب الصحي للمجتمع كلما أدى ذلك إلى تصدع النظام الصحي وضعف القدرة الإنتاجية الاجتماعية للأفراد .

فاهتمام الأب بصحته بشكل منتظم ينعكس ايجابيا على إنتاجه في الوسط المهني ، وعلى قدرته في ممارسة مهامه داخل أسرته لأنه هو المعيل والمسير لها ، وإذا أهمل صحته ولم يرهاها فذلك ينعكس سلبا عليه وعلى إنتاجه وحتى أسرته ، واهتمام الأم أيضا بصحتها ينعكس إيجابا على دورها داخل الأسرة وحتى في مجال عملها خارج المنزل ويظهر ذلك في أدائها لوظائفها الاجتماعية بشكل سليم وصحيح . ونجد هذا ينطبق على باقي مجالات الحياة الاجتماعية ومختلف الفئات والمؤسسات الاجتماعية.

فالصحة تسمح بالنظر إلى الجسم ككل أو عضو من الأعضاء أو جهاز من أجهزة الجسم على أنه في حالة صحية طبية إذا كان يؤدي وظائفه بفعالية ، مشبعا للحاجات مستجيبا لمتطلبات الحياة، أو حاجيات البيئة الداخلية والخارجية ومؤديا دوره في النمو والتكاثر ، في حين تشير النظرة الاجتماعية الطبية للصحة على أنها القدرة الذاتية الضرورية والكافية بدرجة مرضية لكي يؤدي الفرد بكفاءة وفعالية دوره

ووظائفه المتعددة و المتنوعة في نطاق النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه وعلاقته بالبيئة أو البيئات التي يوجد فيها أو يرتبط بها ، بينما يشير المنظور الثقافي والاجتماعي إلى أهمية الصحة ودراساتها لدى عامة الناس في إطار الأسلوب الاجتماعي الذي يتواجدون فيه على أساس أنه يعكس الكيفية التي يستخدمها الناس لمعالجة المشكلات الموجودة في المجتمع ، كما أن أنواع الأمراض ومعدل الوفيات وأنواعها في المجتمع تتأثر كثيرا بالقيم المتصلة بتنظيم الأسرة والعمل.... الخ.

3. مفهوم النمو الحضري:

النمو الحضري أو التمدن كما أطلقه عليه بعض الباحثين بأنه من أكبر المشاكل في وقتنا الحاضر كالبيروقراطية والتخلف حيث أن الدول السائرة في طريق النمو سجلت في السنوات الأخيرة درجة مفاجئة من التحضر تتمثل في الزيادة الطبيعية بالإضافة إلى الموجات البشرية التي نزحت من الأرياف بفعل الفقر وعدم توفر فرص العمل " (أبو العياش، 1980، ص 126).

و على هذا فإن النمو الحضري يقصد به تزايد نسبة سكان المدن في وتيرة زمنية معينة وغالبا ما تكون قصيرة، أي يكون النمو الحضري سريع.

والنمو الحضري اجتماعيا هو عملية انتقال اجتماعي من حالة التريف إلى حالة التحضر وعمليا يعني التخلي عبر الانتقال من صفة "الريف" واقتناء صفة "الحضر" وبالتالي فهو التخلي عن خصائص واكتساب خصائص أخرى. (زيدان، بدون تاريخ، ص 90)

كذلك يمكن تعريفه بأنه انتقال الناس من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية بقصد الإقامة الدائمة، كما يقصد به اشتغال الناس بغير الزراعة " (أنور، 1970، ص 57، ص 90).

ويعرف عالم الديمغرافيا وارن توبسون ظاهرة التحضر في دائرة معارف العلوم الاجتماعية بأنها حركة الناس من المجتمعات التي تقوم أساسا أو فقط على النشاط الزراعي إلى مجتمعات أخرى أكبر حجما يدور

محور النشاط فيها حول التجارة والصناعة والخدمات وغيرها من أوجه النشاط المتصلة بها (زكي يونس، 1972، ص 23).

فالنمو الحضري هو العملية التي تتم بها زيادة سكان المدن عن طريق تغيير الحياة الريفية من ريفية إلى حضرية أو عن طريق هجرة القرويين للمدن المجاورة ، وتكمن هذه التغيرات في الطبائع والعادات وطرق عيش السكان في الريف ، وبإمكانهم الاندماج تدريجيا في الوسط الحضري وتكيفهم مع الوقت واكتساب السلوكيات الحضرية .

ويشير السيد عبد العاطي السيد إلى أن هناك اختلاف بين معدلات التوازن والموارد المتاحة في البلاد النامية على العكس من النمو الحضري الغربي أي عكس ملحوظ لزيادة سكانية كشفت عنها الهجرة الريفية من جراء عوامل طرد الريف وعوامل جذب المدينة كتوفر فرص العمل ، وجود المرافق والخدمات الصحية الخ مما أدى إلى كثافة المدن وبالتالي انعدام الإمكانيات لاستيعاب هذا الفائض السكاني الذي يتزايد بسرعة (عبد العاطي السيد، 1999، 223).

فارتفاع معدلات النمو الحضري في مختلف أحجام المدن ولاسيما الجزائرية وعدم القدرة على السيطرة على التوسع العمراني واحترام مخططات التهيئة والتعمير يسبب الاختلال في التوازن بين سرعة نمو النسيج العمراني وقلة إمكانيات المراقبة أو انعدامها في بعض الأحيان ، كما نجد الموجات المستمرة المتوافدة من الأرياف نحو المراكز الحضرية يسبب الاكتظاظ وتناقص فرص العمل ونقص المياه وتلوث البيئة الحضرية مما يؤدي إلى تدهور صحة الأفراد ، "ويؤكد لويس وورث أن تنوع النشاطات والبيئات الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع الحضري من شأنه أن يؤدي إلى قدر لا يستهان به من تفكك الشخصية وزيادة معدلات الانحراف الاجتماعي وظهور مشكلات التلوث البيئي." (عبد العاطي السيد، نفس المرجع السابق، ص 83، ص 85).

والمجتمع الحضري الذي يعيش في بيئة حضرية تتميز بكبر الحجم والكثافة العالية من السكان و اللات جانس الاجتماعي يفرض ظهور مشكلات ناتجة عن هذه المتغيرات الثلاث ومن بين هذه المشكلات مشكلة التلوث وما ينجم عنها من أضرار بيئية وصحية وهذا يتفاقم بشكل كبير في مدن المجتمعات النامية.

II. مشاكل النمو الحضري وأثرها على صحة الإنسان :

يمكن الإشارة لبعض المشاكل التي تعاني منها المناطق الحضرية والتي تؤثر على الفرد والمجتمع بيئيا وصحيا وهي كالتالي :

1. المشاكل السكنية:

1.1. انتشار الأحياء الفوضوية والتوسع العشوائي لل عمران:

ما يميز مدن العالم العربي عامة والجزائرية خاصة تلك الفوضى العمرانية والتوسع العشوائي في طريقة نموها والناتجة عن البناءات الذاتية التلقائية الناشئة فوق أراضي الخواص عن طريق التجزئة الحرة للأراضي بغرض البناء والسكن وهذا بناءا على رغبات فردية وجماعية بعيدا عن أي توجيه أو تخطيط إداري حضري ، ومن ثم تتشكل أحياء ومناطق عمرانية عشوائية إلى جانب التجمعات السكنية الكبرى المتمثلة في العمارات الجديدة .

وتتعدم في هذه الأحياء أهم المرافق اللازمة للعيش الكريم كالمياه الصالحة للشرب وقنوات الصرف الصحيالخ، مما يسبب جلب كل أنواع الحشرات والميكروبات التي تؤثر سلبا على صحة الأفراد و تساهم في بعث العديد من الأوبئة الفتاكة والأمراض الجلدية .

2.1. انتشار الأحياء القصديرية:

ينمو هذا النوع من الأحياء في أغلب الأحيان على الأطراف الشاغرة للمدينة ، وتكون الأراضي التي تبني عليها (ملك الدولة) ، وتكون على شكل أكواخ من الصفيح (القصدير) أو الطوب ، وتتعدم فيها أدنى

شروط ومرافق الحياة الكريمة كالماء والكهرباء وقنوات الصرف الصحي ، وقد يتم نقل بعض المرافق من الجيران خاصة الكهرباء والماء وذلك بصفة غير رسمية (عشوائيا) .

أين تحولت هذه الأحياء إلى بؤر للأمراض الاجتماعية كالجريمة ، العنف، المخدرات ، السرقة والتي تؤثر سلبا على الصحة النفسية والجسمية للسكان وبالتالي انتشار الأمراض ، وكذا انتشار التلوث البيئي بسبب انعدام النظافة اللازمة وهذا نتيجة الانتشار الفوضوي للنفايات والقمامات وانعدام قنوات الصرف الصحي.

ورغم الجهود المبذولة من طرف السلطة لإزالة هذه الأحياء البائسة والمشوهة، إلا أنها منتشرة بكثرة والتي تمثل الظاهرة الاجتماعية والحضرية الأكثر وضوحا ، بحيث ما نراه اليوم إذا قضي على حي قصديري معين نجد غيره في منطقة أخرى ، فالسلطات تفتقد لإستراتيجية جيدة للحد من هذه الأزمة أو المشكلة.

3.1. أزمة السكن:

تعود أزمة السكن في المجتمعات عامة والمجتمع الجزائري خاصة إلى تأثير عاملين أساسيين هما النمو الديمغرافي السريع ، وقلة عدد المساكن التي أنجزتها الدولة بالإضافة إلى ظاهرة النزوح الريفي للسكان نحو المدن ، أين ظهر نوع من الاكتظاظ في المدن وطغى طلب السكنات على العرض ، مما جعل من أزمة السكن هاجس العديد من الأسر ، وهذا ما يخلق نوع من الأزمات الصحية والنفسية كالقلق لدى الأفراد مما يؤثر على ضعف شخصية الأفراد وبالتالي انحرافهم أو انتحارهم في الكثير من الأحيان .

2. مشكلة النقل :

تعاني المدن في معظم المجتمعات من مشكل الازدحام واختناق المرور بسبب تكديس السيارات خاصة في الطرق والشوارع المؤدية إلى المراكز الحضرية وهذا راجع إلى الامتلاك الكبير للسيارات وعدم مواكبة شبكة الطرقات بالإضافة إلى المراكز الحضرية (تركز الأنشطة الاقتصادية والأعمال في مراكز أو وسط المدينة) مما يجعل الاتجاه منها وإليها كثيف جدا .

ويترتب على هذا المشكل حركة المرور كبيرة وغير منتظمة ، ارتفاع معدل حوادث المرور وكذا ظهور حالا ت من الإحباط والقلق المؤثرة سلبا على صحة المواطن والذي يسببه ازدحام السير ، كما نجد التلوث البيئي الحضري والنجم عن دخان احتراق وقود السيارات والذي يتسبب بدوره في عدة أمراض يعاني منها سكان المدن في مختلف الفئات ، كالأزمات التنفسية (الربو) من جراء الاحتناقات .

3.مشكل التلوث:

1.1. مفهوم التلوث:

تعتبر مشكلة التلوث من أخطر المشكلات التي تواجهها المدن خاصة الصناعية، وهذا من خلال تأثيره المعروف والخطير على صحة السكان، "فالتلوث هو حالة من عدم النقاء أو عدم النظافة، أو أنها كل عملية تنتج مثل هذه الحالة " (السيد عامر، 2002، ص 55).

يشير هذا إلى العوامل التي تنتج حالة التلوث وتعرف "بالملوثات" وهي مسببات التلوث التي تتكون نتيجة ما استحدثته الإنسان في البيئة الحضرية من تقنيات وما ابتكره من اكتشافات، والناجئة عن مختلف الصناعات ووسائل الاتصال وكذلك ما ينتج من نفايات النشاطات البشرية ، والتي تؤدي إلى أخطار تهدد الحياة الاجتماعية ومختلف الكائنات الحية التي تعيش في نفس النسق الايكولوجي.

والتلوث البيئي أيضا هو اختلاف في توزيع نسبة طبيعة مكونات الهواء والماء والتربة ، وهو صورة من صور الفساد وينتج أساسا عن تدخل الإنسان في قوانين البيئة وإخلاله بتوازن عناصرها ومكوناتها ، وكانت للثورة الصناعية والتكنولوجية التي يعيشها العالم اليوم آثارها السلبية على البيئة والتي من شأنها أن تهدد صحة الإنسان والكائنات الحية الأخرى .

" فالطرق المكنظة بأنواع السيارات والمركبات وغازاتها السامة وازدحامها الشديد ، والضغط على محطات الوقود ، والطلب المتزايد على مياه الشرب النقية ، والحاجة إلى توافر محطات الصرف الصحي والخدمات

العامية يجعل بعض الأجهزة المسؤولة غير قادرة على استيعاب احتياجات السكان ، وذلك لعدة أسباب أهمها التضخم السكاني غير المحسوب في مقابل الموارد المتاحة " (عباس إبراهيم، 2000، ص 219، ص 220).

فالتلوث يزداد نتيجة لزيادة العمران ، وزيادة التصنيع وتدني مستوى التخطيط الحضري وانخفاض المستوى المعيشي لبعض الفئات وعجزهم عن المحافظة على الوسط الحضري ، إلى جانب إلقاء الفضلات والنفايات في الطرقات العامة التي أصبحت تشوه وجه المدينة، وهذا راجع إلى نقص الخدمات وانعدام الثقافة الحضرية وانحيار القيم الأخلاقية .

كما انه ظاهرة اجتماعية ، بحيث لم تعد البيئة قادرة على تجديد مواردها الطبيعية مما أدى إلى اختلال عناصرها فلم تعد هذه العناصر قادرة على تحليل النفايات والمخلفات الناتجة عن النشاطات المختلفة للسكان ، فأصبح جو المدن ملوثاً بالروائح الكريهة النابعة من القمامات المبعثرة وكذا الملوثات الاجتماعية كالمخدرات والكحول.... الخ والتي تؤثر على صحة السكان وحتى على الكائنات الحية الأخرى.

2.1. أنواع التلوث:

أ. تلوث الهواء :

يعد تلوث الهواء من أكبر مشكلات تلوث الوسط الحضري في معظم المجتمعات العالمية، ولم يبدأ تلوث الهواء ليصبح مشكلة إلا عندما زاد اتجاه السكان إلى الإقامة والعيش في المدن واتساع المجالات التي أصبح فيها احتراق الوقود ضرورة معيشية.

"وقد بدأت مشكلة الهواء تظهر بوضوح في البيئة الحضرية مع مجيء الثورة الصناعية و على وجه الخصوص في القرن العشرين ، فقد ساهم التصنيع بدرجة كبيرة في زيادة الفضلات والمخلفات في الجو وفي زيادة نسبة الغازات والأبخرة المتصاعدة ، مما يهدد حياة المجتمع الحضري في المدينة ويسبب له مشاكل صحية " (عبد الحميد رشوان، 2005، ص35، ص36).

وقد تتسبب في التلوث الجوي بعض المواد الطبيعية ويختلف تركيزها ، كالعبار و الأتربة التي تثيرها الرياح والعواصف ، حيث تحمل الرياح هذه الجزيئات الصلبة إلى مسافات بعيدة جدا فتؤثر في الإنسان والمناخ والبيئة وهذا ما يسبب أمراض الحساسية وتضرر الجهاز التنفسي والعيون لدى الأفراد.

كما تساهم وسائل النقل والمواصلات والمصانع في تلوث الهواء ، وهذا من خلال احتراق الوقود التي تستعملها السيارات والمواد الكيماوية التي تنبعث من مختلف المصانع التي تتوسط المدن أحيانا ، مما يؤثر على صحة السكان .

ب. تلوث المياه :

و هي المياه التي تستخدم للشرب أو الاستخدامات المنزلية، وغيرها من استعمالات الزراعة وما يتصل بالأنشطة الحياتية المشروعة سواء كانت سطحية أو مياه جوفية.

"فتلوث الماء هو كل تغير في خواص الطبيعة للماء ، وقد يتلوث الماء بالميكروبات وذلك عن طريق الفضلات الآدمية أو الحيوانية أو قد يتلوث بإضافة مواد كيماوية سامة " (السيد عامر، نفس المرجع السابق ، ص 131).

ويكون مصدر تلوث المياه كذلك من صرف مخلفات المصانع السائلة بما فيها التلوث الحراري والفضلات الإشعاعية ، وصرف مخلفات المدن التي تشمل مجاري المنازل والمباني العامة ، المستشفيات وكذا صرف مياه الزراعة والتي تحمل في ظلها مواد كيماوية ومبيدات حشرية .

فتأثير تلوث المياه على الصحة لا يقل خطورة على تلوث الهواء ، إذ يعتبر تلوث المياه بالفضلات وقدم البالوعات عاملا أساسيا في خلق وتفشي بعض الأمراض والمتنقلة عبر المياه كالكوليرا والتيفود والأمراض المعوية وبعض الأوبئة مثل احمرار العيون وحساسية الجلد وهذا بالخصوص في الوسط الحضري أين تقل النظافة والمياه النقية .

ج. تلوث التربة :

يؤدي التوسع العشوائي للمدن إلى الإضرار بالتربة بحيث يتم هذا التوسع على حساب الأراضي الصالحة للزراعة ، كما يؤدي تطور النمو العمراني وازدياد الكثافة السكانية في البيئة الحضرية والمطالب الاستهلاكية للسكان إلى تراكم الفضلات والنفايات الصلبة ، أين تنتج الفضلات عن الإنسان ونشاطاته المختلفة لتستقر على سطح الأرض وتشوه جمال الطبيعة ، كما تؤدي المفرغات العشوائية في قلب المدن إلى انتشار كل أنواع القمامات والتي تشوه وتلوث تلك الفضاءات التي يعتبر الرئة التي تتنفس من خلالها هذه المدن وبالتالي تلوث التربة والحشائش مما يستقطب هذا التلوث أنواع كثيرة من الحشرات التي تعكر حياة السكان وتسبب في نفشي أمراض كثيرة كالأمراض الجلدية .

كما تساهم مخلفات المصانع من المواد الكيماوية الضارة والسامة في تلوث التربة، وتناقص المساحات الخضراء، وكذا المساحات الزراعية القريبة من المدن.

د. التلوث الاجتماعي:

هو عدم القدرة على التكيف مع البيئة الخارجية وتتمثل في المشكلات الاجتماعية كالإدمان على الكحول الانحراف... الخ، وتنتشر بصفة كبيرة في المراكز الحضرية وهذا لكثافة السكان فيها، وقد تشكل خطرا كبيرا على الصحة العامة للسكان.

كما أنها شكل من أشكال الاضطراب الذي يعتري المجتمع والذي يؤثر سلبا على صحة الفرد وحيويته وقدرته على أداء مهامه وذلك انطلاقا من مؤثرات خارجية اجتماعية ، قد تظهر في شكل آفات اجتماعية مختلفة ، وقد تكون عبارة عن عجز يصيب الأفراد لكن في أحد أعضائه وهذا بسبب ظروف اجتماعية مزرية عاشها ، أو تكون محيطة به كالفقر والبطالة ، كما تؤثر أيضا على نشاطاته الحياتية سواء المنزلية أو المهنية.

وتعود أسباب هذا التلوث (الاجتماعي) إلى سوء تكيف الفرد مع المحيط القاطن فيه ويظهر ذلك جليا في الوسط الحضري عند القرويين الذين يتوافدون للعيش فيه ، والتهميش الذي يعيشه هؤلاء من طرف الجوار وحتى مع السلطات ، وذلك يؤدي إلى اغترابهم وعزلتهم مما يؤثر سلبا على صحتهم النفسية والجسمية. فالظروف الاجتماعية السيئة ومعايشة الفرد للمشاكل الاجتماعية تؤثر على الفرد صحيا أين تشمل حتى الصحة الاجتماعية وذلك من خلال انحرافه وإدمانه وحتى انتحاره ، وهذا يدخل ضمن مصطلح "المشكلات الاجتماعية الشديدة الارتباط بالتغير الاجتماعي فكلما تقدم مجتمع في نموه وتطوره تفاقمت مشكلاته ، وبات هذا التقدم عاملا إضافيا إلى عوامل التغير الاجتماعي ، أي أنه نتيجة وسبب في نفس الوقت " (خليل عمر، 1998، ص 13).

وتتدهور صحة الفرد حينما يؤثر فيه التلوث الاجتماعي بصورة تدريجية تستغرق وقتا طويلا ، كما أن علاج المرض وتحرر الفرد من أعراضه وأثاره قد تستغرق فترة زمنية طويلة ، فالتلوث الاجتماعي يصيب الجماعة بأكملها قبل أن يصيب الفرد.

ونجد من ضمن التلوث الاجتماعي عناصر كثيرة نذكر البعض منها :

د.1. الانحراف: وهو ما يتعلق بانحراف سلوك الأفراد في المجتمع كالانحلال الأخلاقي، والانحراف عن القيم وطمس العادات السائدة المحترمة، وقد يكون الانحراف الاجتماعي نتيجة مشاكل اجتماعية أو رفقة سيئة خاصة لدى المراهقين، أو عواقب غريزية غير متحكم فيها.

د.2. العنف بكل أشكال: "وله مظاهر عديدة ومداخل متنوعة، فهناك عنف موجه للأشخاص أو نحو الملكية تكون أسبابه أسرية أو اقتصادية" (خليل عمر نفس المرجع السابق، ص 177).

د.3. الفقر والبطالة: يعتبران من الملوثات الاجتماعية خاصة في المجتمع الحضري لأنهما منتشران بقدر اكتظاظ المدن بالسكان، وقد يتسببان في تدني الظروف المعيشية للفرد وبالتالي تدهور صحته وتفشي من خلاله العديد من الأمراض الجسمية والنفسية.

د.4. الإدمان على المخدرات والكحول : تعرف منظمة الصحة العالمية الإدمان على انه إدمان أي شكل من الشراب المسكر تكون فيه الكمية المتناولة أكثر من الحد الأعلى للاستعمال التقليدي والمألوف أو المسايرة المعتادة مع عادة الشرب المتعلقة بالمجتمع المحلي بغض النظر أيضا عن مدى الذي تكون فيه العوامل السببية معتمدة عن الوراثة وبنية الجسم أو الأمراض الوظيفية المكتسبة والتأثيرات الجرثومية، وتنعكس الآثار الضارة للإدمان بدون شك على الشخص المدمن كما تنعكس بصورة حتمية على العائلة والمجتمع " (محمد حسن، 2003، ص 131).

ومن هنا فالإدمان قد يتسبب في الكثير من الأضرار الصحية للفرد المدمن وعائلته ومحيطه الاجتماعي، وقد تكون هذه الأضرار نفسية وجسدية.

● الخاتمة:

أدت حركة النمو الحضري السريع في المدن والتوسع العشوائي في الكثير من المجتمعات لاسيما المتخلفة منها إلى نشوء أحزمة من البؤس في المدن التي عجزت عن توفير المساكن للنازحين من الأرياف والفقراء الوافدين بأعداد هائلة للبحث عن العمل ، وهذا ما أنتج سلوكيات منافية للبيئة وانعدمت الثقافة الحضرية لدى هؤلاء، أين غاب الوعي بأهمية النظافة، وظهر عنصر المصلحة الشخصية وعدم الاكتراث بالمحيط البيئي مما سبب في النهاية أضرار صحية وخيمة أدت بهم في معظم الأحيان إلى الهلاك، فكلما تزايدت نسبة النمو الحضري كلما تزايدت معه نسبة التلوث وتزايد مستوى تدهور الصحة العامة، وعليه من أجل صحة جيدة يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

- نشر القيم الخلقية والتوعية البيئية عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وإقامة ندوات فكرية من اجل التحذير من أخطار التلوث بكل أنواعه على الصحة العامة.
- توعية سكان الحضر بمدى أهمية النظافة ، وعدم رمي القمامات والنفايات عشوائيا داخل الأحياء .
- توسيع الشوارع وإضاءة المدن بالجمال وذلك بالمساحات الخضراء والحدايق والمتنزهات.
- وضع خطط مرورية حضرية تحد من الفوضى المرورية والازدحام اليومي.
- تخطيط المدن تخطيط سليم يقوم على المعايير المعمارية الدولية، ومراقبة توسع المدن والنمو السكاني.
- تخصيص مناطق للمصانع بعيدا عن المراكز الحضرية والتجمعات السكانية وذلك خارج المدن أو في الضواحي.
- تخصيص سكان المدن بمدى أهمية عنصر الماء والحفاظ عليه والحد من تبذيره.
- استخدام مصادر الطاقة النظيفة كالطاقة الشمسية والكهربائية ، والتقليل من استهلاك الوقود.
- بناء مدن صغيرة لفك الخناق على المدن الكبرى وبالتالي التخفيف من حدة التلوث بكل أنواعه من اجل توفير جو معيشي حضري بمعايير صحية للسكان.

قائمة المراجع:

- 1.نادية عمر السيد، علم الاجتماع الطبي، بدون تاريخ.
2. إقبال مخلوف، العمل الاجتماعي في مجال الرعاية الطبية اتجاهات تطبيقية ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1991.
3. علي المكاوي ، علم الاجتماع الطبي، مدخل نظري ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،1990.
- 4.محمد سلامة، أدوار الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2003 .

5. عبد الإله أبو العياش، أزمة المدينة العربية ، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1980.
6. عبد الباقي زيدان ، علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ.
7. عبد المنعم أنور، الحضارة والتحضر، دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1970.
8. فاروق زكي يونس، علم الاجتماع الأسس النظرية وأساليب التطبيق، دار علم الكتاب القاهرة، 1972.
9. السيد عبد العاطي السيد ، الإنسان والبيئة ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1999.
10. السيد عبد العاطي السيد، نفس المرجع السابق.
11. محمد السيد عامر، المشاركة الشعبية لحماية البيئة من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
12. محمد عباس إبراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
13. حسين عبد الحميد رشوان ، مشكلات المدينة ، دراسة في علم الاجتماع الحضري ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2005.
14. محمد السيد عامر ، نفس المرجع السابق.
15. معن خليل عمر ،علم الاجتماع المشكلات الاجتماعية ، عمان الأردن ، 1998.
16. معن خليل عمر نفس المرجع السابق.
17. إحسان محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، دراسة تحليلية في طب المجتمع، دار وائل للنشر، عمان الأردن ، 2003.